الأدب المقارن

Comparative Literature

د. نشوى أحمد عبد الرحمن

بكالوريوس لغة عربية – لغة عربية

المحاور:

- المخرجات المتوقعة من الدرس.
- المقدمة.
- الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه.
- الفصل الثاني: ميادين الأدب المقارن ومدارسه.
- الفصل الثالث: عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.
- الفصل الرابع: عالمية الأدب وعواملها.
- الفصل الخامس: الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن.
- الفصل السادس: الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة.
- الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن.

المحاور:

- الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها.
- الفصل التاسع: طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي.

المخرجات المتوقعة من الدرس

في نهاية الدرس يكون الطالب يكون قادرًا على:

- التعرف على تعريف الأدب المقارن ونشأته ومهامه.
- معرفة ميادين الأدب المقارن ومدارسه.
- التعرف على عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.
- التعرف على معنى عالمية الأدب وعواملها.
- معرفة الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن.
- معرفة الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة.
- معرفة بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن.

المخرجات المتوقعة من الدرس

- معرفة الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها.
- معرفة طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي.

المقدمة:

- الأدب المقارن هو فرع من فروع الدراسات الأدبية يهتم بمقارنة الأدب بين لغتين أو أكثر، بغرض الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأعمال الأدبية من حيث الموضوعات، الأساليب، التقاليد الثقافية، والتأثيرات المتبادلة. يُعد هذا الحقل من الدراسات وسيلة لفهم أعمق للثقافات المختلفة والتفاعل الحضاري بين الأمم، إذ يسلّط الضوء على كيف عبّر الأدباء في أماكن وأزمنة مختلفة عن قضايا إنسانية مشتركة أو تجارب متشابهة بأساليب متنوعة. وتكمن أهمية الأدب المقارن في كونه يسهم في توسيع أفق القارئ والباحث، ويعمق الوعي بالأدب العالمي من خلال الربط بين النصوص والسياقات التي نشأت فيها.

الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه

تعريف الأدب المقارن

الأدب المقارن فرع من فروع المعرفة، يتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر من أدبين، ينتمي كلٌّ منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر، وفي العادة إلى لغة غير اللغة التي ينتمي إليها أيضًا، وهذه المقارنة قد تكون بين عنصر أو أكثر من عناصر أدب قومي ما، ونظيره في غيره من الآداب القومية الأخرى، وذلك بُغية الوقوف على مناطق التشابه، ومناطق الاختلاف بين الآداب، ومعرفة العوامل المسئولة عن ذلك.

كذلك قد يكون هدف هذه المقارنة كشف الصلات التي بينها، وإبراز تأثير أحدها في غيره، وقد يكون هدفها الموازنة الفنية أو المضمونية بينهما، وقد يكون هدفها الصورة التي ارتسمت في ذهن أمة من الأمم عن أمة أخرى، وقد يكون هدفها هو تتبع نزعة أو تيار ما عبر عدة آداب.

الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه

نشأته

- ظهرت الدعوة إن الاهتمام بآداب الغير منذ أقدم العصور، حيث كانت الحضارة اليونانية أول مدرسة عرفتها الحضارة العالمية خاصة في حقل الفن والفكر، وأساس بناء النهضة الحديثة في العالم الغربي، ولعل أقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر هو ما أثر به الأدب اليوناني في الرومان؛ رغبة من الرومان في نهضة الأدب اللاتيني توجهوا إلى التراث اليوناني ينهلون منه، وينسجون على منواله إرثهم الثقافي والحضاري.

- وظهرت في عصر النهضة خلال القرن الخامس عشر والثالث عشر، الدعوة إلى توجيه الأنظار الأوروبية في مجال الإنتاج الأدبي صوب الآداب القديمة من يونانية ولاتينية وضرورة محكاياتها.

الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه:

- كان العرب الفضل في لفت أنظار أوروبا إلى الفكر اليوناني والنصوص اليونانية، فالعرب استوعبوا علوم وفلسفة الأقدمين، وغذوها بإضافات أصيلة في ميادين شتى، عندما قاموا بنقلها عن طريق الترجمة كالفلسفة اليونانية، وظل يحملون لواء المعرفة الإنسانية لخمسة قرون، حتى إذا ما بدأ عصر النهضة الأوروبية أقبل الأوروبيون على اللغة العربية يترجمون منها إلى لغاتهم ما ترجم من لغات الأقدمين إليها، وما وضع أصلا فيها من علوم ،ولئن كان القرنان التاسع والعاشر الميلادي قرني ترجمة معارف الإغريق والفرس والهنود إلى العربية فإن الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادية كانت قرون عطاء العرب إلى أوروبا .

الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه:

مهامه

المهام التي اضطلع بها الأدب المقارن في العصر الراهن، وذلك في مجالات عدة مثل:

١) الحِوار: يُمكنُ للأدب المقارن أن يمثل جسر الحوار بين الثقافات المختلفة، من خلال إيجاد مواطن التأثير والتأثر بين نصوص الإبداعية في تلك الثقافات، وتشخيص نقاط الاختلاف والائتلاف بين الأنظمة الثقافية المختلفة.

٢) التركيز على البعد الإنساني للأدب، وذلك من خلال إبراز التقارب بين الغايات القصوى، التي ترمي إليها الآداب القومية المختلفة، والتي قد تتباين من حيث وسائل التعبير واللغة، ولكنها تتآلف من حيث الغاية.

٣) الترجمة: إذ يرى العديد من الباحثين أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين مستقبل الأدب المقارن، وازدهار الترجمة في العديد من بقاع العالم؛ فدراسات الترجمة تنبع من الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية، والنفسية والاجتماعية والعرقية وغيرها.

الفصل الأول: الأدب المقارن ونشأته ومهامه:

٤) التكافؤ الثقافي: ويتحقق من خلال ردم الهوة بين الثقافات المتباينة، ورفع الغبن التاريخي الذي لحق ببعض الثقافات؛ لأن التاريخ لم يشهد تساويًا وتكافؤ كاملًا في مستوى تطور الحضارات، بل جعل ثقافات بعض الشعوب ثقافات مهيمنة ومسيطرة، فيما جعل بعض الثقافات ثقافات مقلدة أو مهمشة؛ عليه فإن مهمة الأدب المقارن هي خلق حالة من التوازن والتكافؤ بين الآداب والثقافات المختلفة.

الفصل الثاني: ميادين الأدب المقارن ومدارسه

ميادين الأدب المقارن

وميادين الأدب المقارن مُتعددة:

- فقد يكون ميدانه المقارنة بين جنس أدبي كالقصة أو المسرحية في أدب ما، ونظيره في أدب آخر.
- وقد يكونُ ميدانه المقارنة بين الأشكال الفنية داخل جنس أدبي من هذه الأجناس في أدب ما، ونظيراتها في أدب آخر.
- وقد يكون ميدانه الصورة الخيالية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز.
- وقد يكون ميدانه النماذج البشرية والشخصيات التاريخية في الأعمال الأدبية.
- وقد يكون ميدانه التأثير الذي يحدثه كتاب أو كاتب ما في نظيره على الناحية الأخرى، أو مجرد الموازنة بينهما لما يلحظ من تشابههما مثلًا.

الفصل الثاني: ميادين الأدب المقارن ومدارسه

- وقد يكون ميدانه المقارنة بين المذاهب الأدبية كالكلاسيكية والرومانسية، والواقعية والرمزية والبرناسية هنا وهناك،
- وقد يكون ميدانه انعكاس صورة أمة ما في أدب أمة أو أمم أخرى وهكذا.

مدارسه

هناك عدة مدارس في ميدان الأدب المقارن منها مثلًا:

١- المدرسة الفرنسية ٢- المدرسة الأمريكية ٣- المدرسة الألمانية ٤- المدرسة الإيطالية.

الفصل الثالث: عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.

عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.

ولذلك الانتقال عاملان:

١) الكتب. ٢)المؤلفون.

١) الكتب:

للكتب تأثير كبير في إثبات الصلات الأدبية بين مختلف اللغات، فهي التي تلقي ضوءًا قويًا أو ضعيفًا على علاقات بلد ما، بمؤلف أبو مجتمع أو بإنتاج أدبي في بلد أخر، والأدب المقارن يهتم أولًا بإثبات الصلة بين الوسط المتأثر ويستعان في ذلك بما أدلى به المؤلف به من تصريحات من نوع ثقافته وتأثره بكاتب أو ثقافة بلد ما .

الفصل الثالث: عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.

وقد يكون المؤلف نفسه قد كتب بعض مؤلفاته بلغة أجنبية فتكون لتلك المؤلفات دلالاتها التي لا تنكر على تأثره بأدب اللغة التي كتب بها وذلك مثل أكثر كتاب الفرص و شعرائهم فكانوا من ذوي اللسانين العربي والفارسي.

ومما يعين الباحث في هذا السبيل تحديده لمدى رواج الكتب في البلد الذي يدرس تأثيرها فيه. ويستعان في ذلك بفهارس الكتب في دور الكتب، و بإحصاءات الطابع في دور الطبع.

الفصل الثالث: عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة.

٢) المؤلفون:

إن نعتد بالكتب وحدها غالبًا لكي نحدد العلاقات الأدبية بين الأمم المختلفة، ضاربين في ذلك صفحًا عن المؤلفين والمترجمين لأن الكتب هي وسيلة تعرف تلك العلاقات. ولكن إذا كنا بسبب كتب مؤلف مشهور، فإننا لا نستطيع أن نهمل دراسته هو في صلاته بالبلاد الأخرى وكيف عرفها وعرفها دي بلاده في أدبه.

ومثال ذلك دراسة ابن المقفع فيما نَقل إلى العربية من روائع لغته. فلكي ينظر إلى إنتاجه- بوصفه صلة بين الأدب الإيراني وبين الأدب العربي- يجب أن ندرس حياته نفسه، وأن نتعرف على ثقافته، وميوله فارسية، وما يمكن أن يكون لكل ذلك من صدى في مجهوده الأدبي في الترجمة التي قام بها. فلكي نستطيع تقدير كاتب أو رحالة أو مترجم من الإعلام المشهورين يجب أن نعرف من أدب لغته، ومن حياته، وأحوال بلاده، ما يُمكِّننا من صدق الحكم عليه.

الفصل الرابع: عالمية الأدب وعواملها

عالمية الأدب وعواملها

عالمية الأدب معناها خروجه من نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أو آداب لغات أخرى، وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الآداب في عصور معينة، ويتطلبها الأدب المتأثر في بعض العصور بسبب عوامل خاصة تدفعه إلى الخروج من حدود قوميته، طلبا لكل ما هو جديد مفيد تهضمه وتتغذى به واستجابة لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض، ولها أسسها العامة التي تحدد سيرها.

الفصل الرابع: عالمية الأدب وعواملها

عوامل عالمية الأدب

١) أول هذه العوامل هو شعور ذوي المواهب الرشيدة بعدم كفاية أدبهم القومي للاستجابة لحاجات عصرهم، وهذه نقطة البدء في التأثير والتجديد، وهي تمثل ملال الكتاب والشعراء للمألوف من تقاليد أدبهم وصوره الفنية، وهذا الملال هو سبب خروج هؤلاء الكتاب والشعراء من نطاق أدبهم القومي طلبا للجديد من الآداب الأخرى، ويتمثل هذا الخروج في شبه ثورة على القديم، وحرص على إكماله في وقت معا.

٢) العامل الثاني من عوامل عالمية الأدب هو الهجرات، وكانت تنتج في القديم عادة من اضطرابات طبيعية أو سياسية، تنتقل بسببها جماعة من بلد إلى بلد أخرى فتؤثر في أدب البلد الأخرى وتفكيره.

الفصل الرابع: عالمية الأدب وعواملها

٣) العامل الثالث هو الحروب بين الشعوب والدول، والحروب المدمرة المشؤومة قد تكون طيبة الأثر من جهة الإخصاب العقلي، بإتاحة فرص التأثير والتأثر بين الآداب.

الفصل الخامس: الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن

الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن

وهناك مجموعة من الشروط يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن:

١) أن تتسع معارفه بحيث يكون مطلعًا على جوانب متعددة من الثقافات فيما يتصل بالأدب.

٢) أن يعرف بعض اللغات الأجنبية، إذ لا يستطيع أن يعرف ما تم من تأثير وتأثر في الموضوعات التي يدرسها، إلا بالاطلاع على النصوص والآثار الأدبية في لغاتها الأصلية، فقد ثبت أنه كثيرًا ما يؤدي الاعتماد على الترجمات دون الرجوع إلى الأصول إلى أخطاء في النتائج بسبب سوء الترجمة أو تحويرها، أو سهوها عن أشياء مهمة في اللغات المنقول منها.

الفصل الخامس: الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن

٣) ينبغي للدارس المقارن أن يلم بالمصادر، والأصول الخاصة بموضوع البحث؛ كي يستطيع معرفة عملية التأثير والتأثر، وإذا وقعت له ترجمة لعمل من الأعمال الأدبية، فعليه أن يقارن بين الترجمة والأصل، أو بين الترجمات المتنوعة إذا كان هناك أكثر من ترجمة للعمل المذكور.

٤) بالمثل عليه معرفة ما يختص بدراسة الأجناس أو الأنواع الأدبية، كنشأة قصص الرعاة ومسرحياتهم في الأدب الأوربي، وانتشار القصة التاريخية في أوربا مع أوائل القرن التاسع عشر، ونشوء القصة والمسرحية في الأدب العربي، ثم الحكايات التي كتبت على ألسنة الطير والحيوان، وكيف أدخلها إلى الأدب العربي الكاتب العباسي عبد الله بن المقفع؟ وكيف أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي؟ أو كيف أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي إلى آخره؟ يجب أن يتتبع الدارس المقارن كل نوع وتطوره في لغتين أو أكثر، وأن يبحث العوامل التي أثرت في كل الآداب التي يراد دراستها.

الفصل الخامس: الشروط التي يجب توافرها فيمن يبحث في الأدب المقارن

وقد يحاول الباحث المقارن دراسة جنس أدبي في أدبين فقط، وذلك كدراسة القصة الرومانسية الفرنسية، وتأثيرها في القصة العربية أو في أكثر من أدبين كدراسة القصة الرومانسية في الآداب الأوربية، ثم تأثيرها في القصة العربية خلال العصر الحديث، وعليه أن يأتي بالدليل على تأثر ذلك الكاتب، أو أولئك الكتاب بالجنس الأدبي موضوع الدراسة، وقد يصرح الكاتب نفسه بهذا التأثير، وعليه تكون مهمة التدليل، والبرهنة يسيرة على الباحث المقارن.

٥) ينبغي معرفته طبقًا لما يقوله أساتذة الأدب المقارن أن يحدد الدارس مدى تأثر الكاتب الجنس الأدبي، وهل كان تأثرًا شاملًا أو جزئيًّا؟ ومن هنا يجب على الباحث المقارن دراسة حياة الكاتب، وظروفه الاجتماعية والنفسية، وكذلك مكوناته الفكرية والثقافية.

الفصل السادس: الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة

الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة

الواقع أن في الأدب ملامح من كل فن من تلك الفنون"

- نبدأ بالموسيقى فنرى أن في الشعر العروض والقافية؛ فضلًا عن السجع والجناس، والتشريع، والترصيع والموازنة، ورد الأعجاز على الصدور، وتكرير حرفٍ أو كلمة أو أكثر في بيت واحد أو أكثر، وهو ما يُحدِث تجاوبًا صوتيًّا أشبه بالرنين.

وإذا كان النثر يخلو من العروض والقوافي، فإن فيه مع ذلك السجع والجناس والموازنة ورد الأعجاز على الصدور، وغير ذلك من المحسنات البديعية اللفظية، التي من شأنها إحداث التوقيعات وما إليها، علاوة على ترديد حرف أو لفظة أو عبارة كاملة كما أشرنا آنفًا في كلامنا عن الشعر.

الفصل السادس: الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة

وهذا العُنصر المُوسيقي إلى جانب ما في الإبداع الأدبي من خيال وعاطفة، يعْمَلُ عمل السِّحر في القلوب؛ فيفتح مغاليق حصونها أمام الأفكار والمعاني، فتكونُ النشوة العلوية التي نعرفها للأدب، ولا نعرفها لغيره من الكتابات التي لا تهتم إلا العقل، ولا وظيفة لها إلا إقناعه إقناعًا علميًّا باردًا ليس فيه حرارة الأدب، ولا تحليقه ونشوته.

- وننتقل إلى فن التصوير حيث نجد أن إمكانات الأدب في هذا المضمار، أكبر من إمكانات الريشة، إذ لا يستطيعُ الرَّسم أن ينقل لنا في أية لوحة إلا لقطة واحدة، ومِن ثَمّ لا يُمْكن أن يكون المَشهد المرسوم إلا مشهدًا ساكنًا، ففن التصوير فنٌ مَكاني بخلاف الأدب الذي هو فن جمالي مكاني معًا، وبالتّالي كان بإمكان الأدب أن يُصَوِّر لنا معركة كاملة مثلًا من أولها إلى آخرها، بكل ما تعج به من كر وفر، وضرب وقتل، وجري وقفز على مدى ساعات وساعات.

الفصل السادس: الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة

كذلك فالتصوير قد يقتصر في الألوان على الأبيض والأسود، أما الأدب، فالألوان كلها حاضرة دومًا في يديه، لا يغيب منها لونٌ أبدًا، ليس ذلك فقط بل يستطيع الأديب في لوحته أنْ يَنْقُل لنا الأصوات أو المشمومات، وخلجات النفوس، مفصلة بكل دقائقها علاوة على أسماء الأشخاص وأنسابهم، وأسماء بلادهم، وماضيهم وحاضرهم وعلاقاتهم بغيرهم من البشر، وهو ما لا يستطيعه شيء منه فن الرسم كما هو معروف.

وفوق هذا ففي الرسم يرى المشاهد اللوحة دفعة واحدة، فلا يحس من ثم بذلك التشويق الذي يشعر به قارئ الأدب؛ حيث تنبثق الأسرار واحدًا وراء الآخر مثيرة بهذه الطريقة تطلعاتنا ولهفتنا؛ مما لا يعرفه مشاهد اللوحة.

الفصل السادس: الصلة التي تربط بين الأدب والفنون الجميلة

- ومثلما هو الحال في العلاقة بين الأدب والتصوير، فكذلك الحال في العلاقة بين الأدب والنحت، إن الكلمات قادرة على وصف الأشياء ذات الحجوم وصفًا مجسمًا؛ ثم تزيدُ على ذلك وصف الحركة، والصوت، والرائحة كما أشرنا قبلًا، وكذلك التقاط دبيب المشاعر والأفكار، والنيات أيضًا، لا الحركة وحدها.

وفي شِعْرنا القديم أمثلة كثيرة جدًّا على هذا اللون من الإبداع، إذ يعكف الشاعرُ على ناقته أو فرسه مثلًا، يَصِفُها عضوًا عضوًا بكل ما لديه من تحديد وتدقيق، كما يُقابلنا في شعر الغزل أحيانًا مثل ذلك الوصف للمرأة التي يتدله في هواها الشاعر؛ شعرها وعينيها ووجنتيها، وفمها وأسنانها وعنقها، وصدرها وقوامها، وخصرها وساقيها ... إلخ.

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

❖ بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

هناك موضوعات تقليدية غاب أصلها الأدبي في غياهب الزمن؛ فلم نعد نعلم عن انتقالها من بلد إلى بلد شيئًا ذا بال، مثل (أسطورة خاتم سليمان) و (أسطورة طاقية الإخفاء) و (أسطورة الشحاذة الطيبة الجميلة التي تتزوج ملكًا) فكل واحدة من هذه الأساطير كانت موضوعة لكاتب أو أكثر من كاتب في الأدب العالمي، خلع عليها من فنه الكثير؛ فحملت خصائص إبداعه، وللموضوع مواقف عامة، ومواقف خاصة، تقوم على التفصيلات التي يبتدعها كل كاتب من عنده، وتعد تجديدًا للموضوع الذي يتناوله.

ويمكن أن تقوم المُقارنة الأدبية بين عدة كتاب تناولوا هذا الموقف أو ذاك، ومن الممكن أن يكون أحدهم قد أثر في الآخر بطريقة أو بأخرى، وذلك أمر مشروع لا ضرر فيه.

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

- وفي وسع أمثال هذه الدراسات المقارنة إذا تناولت مثلًا موضوع الغيرة أو الانتقام أو التضحية في سبيل الواجب، أن تلقي ضوءًا قويًّا كاشفًا على عبقرية مختلف الكتاب وفنهم، كما تلقي نفس الضوء على تطور العواطف في جمهورها، وبالمثل فإن بعض الدراسات المقارنة في الأدب تتناول الصور المختلفة لمعالجة الأدباء لشيء من الأشياء، أو عادة من العادات، أو سلوك من السلوكيات، أو معتقد من المعتقدات أو قيمة من القيم، أو عرف من الأعراف خلال العصور المختلفة في مختلف الآداب مثل: الانتقام أو الأخذ بالثأر أو لعبة الشطرنج أو عادة التدخين أو تعاطي المخدرات، أو غير ذلك من النواحي الايجابية أو السلبية.

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

مثال ذلك مسرحية "فاوست" للشاعر الألماني "جوته" التي تتناول قضية عامة هي التردد بين العقل والقلب، ففي أول المسرحية نرى "فاوست" شقيًّا كل الشقاء بعقله ويهم بالانتحار، ثم يتولد فيه الأمل ويأخذ في السعادة، عندما يبدأ في التفكير في التقدم والمستقبل، ويظل على هذا طوال الجزء الأول من المسرحية، وينتهي هذا الجزء بنجاة "مارجريت" منه ومن روح الشر المسيطرة عليه، وتفضل البقاء في السجن والبعد عن حبيبها.

وفي الجزء الثاني من المسرحية يظل "فاوست" منغمسًا في تجارب الحياة المادية إلى أن يتعرف على "هيلين" رمز الجمال الخالص، فيهتدي عن طريقها إلى الخير والعفة والفضيلة.

وهذه القصة نفسها هي التي تمثل محور الموقف العام في مسرحية توفيق الحكيم (شهر زاد) فقضية العقل والقلب ذات أثر واضح فيها، بما يوضح ويبين لنا التأثر الأدبي من جانب الحكيم بالشاعر الألماني "جوته".

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

- أما بالنسبة للأجناس الأدبية: فلاشك إننا في العصر الحديث قد أخذنا الفن المسرحي من الغرب، رغم أنه كانت لدينا بعض الأشكال التمثيلية البدائية، أرقاها "خيال الظل" الذي كان مع ذلك فنًّا شعبيًّا، وقد تعرف المصريون إلى المسرح أثناء الحملة الفرنسية، حين كان الغزاة الفرنسيون يمثلون بعض المسرحيات لأنفسهم، ثم لما ازداد اتصالنا بأوربا بعد ذلك في عهد "محمد علي" وأولاده نقل بعض الشوام المتمصرين هذا الفن إلى بلادنا وكان في أوله مجرد تقليد ضعيف لما كانوا يشاهدونه في أوربا.

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

ثم سرعان ما استحصدت الإبداعات المسرحية تمثيلًا وتأليفًا، وبالمثل فإن فن الملحمة لم يكن معروفًا للعرب القدماء، ولم يدخل شعرنا إلا في عصرنا هذا، رَغم أن هناك مقارنة أدبية قام بها ابن الأثير اتهم فيها شعرنا العربي بالتقصير عما هو معروف في الشعر الفارسي، غب استقلاله عن أدب العرب عن وجود ما يسمى الآن الملاحم. إذ أشار في كتابه (المثل السائر) إلى "الشهنامة" التي نظمها "الفردوسي" في ستين ألف بيت، وهو ما لا وجود له في شعرنا القديم.

وتبقى العبارات التي نقلناها نقلًا من عن اللغات والآداب الغربية، ولم تكن تعرفها لغتنا وآدابنا من قبل ومنها قولنا: "أعطاه الضوء الأخضر" و"سلمه صكا على بياض" و"سقط بين كرسيين" التي أدخلها فيما أذكر الدكتور "طه حسين" أي: "لا طال بلح الشام ولا عنب اليمن"، و"يفعل كذا في الساعة الرابعة عشر" أي بعد فوات الأوان، و"أحس بالألم يتغلغل حتى النخاع" أي بلغ ألمه أقصى مداه.

الفصل السابع: بعض الشواهد على عملية التأثير والتأثر في بعض مجالات الأدب المقارن

علاوة على الإكثار من الصور البيانية التي تتراسل فيها الحواس أو تشبهها مثل: "السكون المشمس" و"اللون الصارخ" و"الرائحة النفاذة" و"الشعارات الزاعقة" و"الابتسامة الصفراء" و"الكلام اللزج" و"ضوء القمر الهامس" و"الشفق الباكي" و"الصفصافة الحزينة" و"الحزن العذب" و"قلب من ذهب" وما إلى هذا.

تقييم:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة:

١) . الأدب المقارن يهتم بدراسة الأدب داخل لغة واحدة فقط.

٢) يهتم الأدب المقارن بالكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأعمال الأدبية المختلفة.

٣) يعتبر الأدب المقارن وسيلة لفهم أعمق للثقافات المختلفة والتفاعل الحضاري بين الأمم.

٤) نشأ الأدب المقارن في العصر الحديث فقط دون جذور في الحضارات القديمة.

٥) الأدب اليوناني أثّر بشكل كبير في الأدب اللاتيني خلال العصور القديمة.

٦) الترجمة لم يكن لها أي دور في تطور الأدب المقارن وانتشاره.

٧) من مهام الأدب المقارن التركيز فقط على الاختلافات بين الأدباء دون الاهتمام بالتأثيرات المشتركة.

٨) ساهم العرب في نقل الفلسفة والعلوم اليونانية إلى أوروبا عبر الترجمة.

الأجوبة:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة الخاطئة:

١) . الأدب المقارن يهتم بدراسة الأدب داخل لغة واحدة فقط.← (✗).

٢) يهتم الأدب المقارن بالكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأعمال الأدبية المختلفة.← (✓).

٣) يعتبر الأدب المقارن وسيلة لفهم أعمق للثقافات المختلفة والتفاعل الحضاري بين الأمم.← (✓).

٤) نشأ الأدب المقارن في العصر الحديث فقط دون جذور في الحضارات القديمة.← (✗).

٥) الأدب اليوناني أثّر بشكل كبير في الأدب اللاتيني خلال العصور القديمة.← (✓).

٦) الترجمة لم يكن لها أي دور في تطور الأدب المقارن وانتشاره.← (✗).

٧) من مهام الأدب المقارن التركيز فقط على الاختلافات بين الأدباء دون الاهتمام بالتأثيرات المشتركة.← (✗).

٨) ساهم العرب في نقل الفلسفة والعلوم اليونانية إلى أوروبا عبر الترجمة.← (✓).

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

الأجناس الأدبية القديمة والحديثة
والتفاعل فيما بينها

تعريف الملحمة، وأهم أنواعها، وسماتها:

- "قصيدة قصصية شديدة الطول، تدور عادة حول أعمالٍ بطولية، ووقائع ذات دلالة لأمة من الأمم أو ثقافة من الثقافات".
- أنواعها: النوع القديم، كملحمة "جلجامش الصومالية" وملحمة "الإلياذة" لـ"هوميروس الإغريقي" والنوع الأحدث أو الثانوي مثل: "الإلياذة" لـ"فيرجين الروماني" و"الفردوس المفقود" لـ"جون ميلتون الإنجليزي" وهذا الأخير هو من إبداع كتاب كبار معروفين استعملوا له لغة أدبية راقية، ونسجوه عامدين على منوال تلك الملاحم القديمة، التي كانت في الأصل شفوية غير مكتوبة، وإن كان قد تم تسجيلها كتابة بعد ذلك، ووصلت من ثم على هذا النحو إلينا.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

الخصائص التي تميز الملحمة عن غيرها:

من الإبداعات الأدبية قائلًا: "إنه لا بد أن يكون بطل الملحمة شخصًا جليلًا ذا مكانة كبيرة بين أبناء وطنه، أو في العالم أجمع، ويَحظى بأهمية تاريخية أو أسطورية، كذلك ينبغي أن يكون ميدان الأحداث شديد الاتساع، بحيث يشمل كثيرًا من الأمم والبلاد المختلفة، وأن تتسم تصرفات البطل بالشجاعة الفائقة؛ حتى لتكون خارقة في كثير من الأحيان، فضلًا عن مشاركة الآلهة والملائكة والشياطين فيها، مع حرص المؤلف على فخامة الأسلوب والموضوعية في رواية الوقائع، ورسم الشخصيات بكل سبيل.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

أهم الملاحم المعروفة في العالم:

قد قام كاتب "الويكيبيديا" بتزويدنا بقائمة لأهم الملاحم المعروفة في العالم كله، مرتبة ترتيبًا تاريخيًّا بدءًا من القرن العشرين قبل الميلاد حتى عصرنا هذا، وتتوالى في تلك القائمة عشرات بعد عشرات من أسماء الملاحم، بعضها لا يزال موجودًا حتى الآن، وبعضها مفقود، فعدد الملاحم إذًا أضخم كثيرًا جدًّا مما يُظَنّ عادة، وبخاصة إذا عرفنا أن هذه القائمة لا تَضُمّ كل الملاحم المعروفة، فضْلًا عن أن هناك ملاحم لا تزال مجهولة حتى الآن.

ولعل ما تناقلته وكالات الأنباء العالمية يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ألفين وأربع تحت عنوان "اكتمال أقدم ملحمة صينية" يعطينا لمحة في هذا الصدد، إذ جاء في الخبر أن الصين أعلنت عن اكتمال أطول ملحمة شعرية على مستوى العالم، وهي الملحمة المعروفة باسم: "ملك قصار" التي لا أذكر أن أحدًا أورد اسمها مجرد إيراد بين ملاحم العالم، وذلك إثر العثور على الجزء الناقص منها، ويستغرق ألف كلمة منقوشة على الأحجار والتماثيل الكائنة بمعبد "السمكة الذهبية" جنوب الصين.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

وقد وصفت الملحمة بأنها أطول ملحمة شعبية عرفها العالم، إذ تقع في ست وثلاثين مجلدًا، وتضم قرابة مليوني بيت من الشعر، كما وصفت أيضًا بأنها تضاهي في قيمتها الأدبية أشهر الملاحم الغربية؛ حتى ليطلق عليها "الإلياذة الشرقية".

والسؤال الآن: هل في أدبنا العربي ملاحم كتلك التي يعرفها الكثير من الآداب الأخرى؟ فأما في الأدب الفصيح القديم؛ فلا يوجد شيء يمكن أن يقال عنه: إنه ملحمة بالمعنى الذي شرحناه هنا، ولقد أشاد "ابن الأثير" من أهل القرنين السادس والسابع الهجريين في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) بما يوجد في آداب الفرس من القصائد الطويلة، التي تبلغ الواحدة منها عدة آلاف من الأبيات كـ"الشهنامة" وما إليها؛ فكان رد صلاح الدين الصفدي من أهل القرن الثامن الهجري في كتابه (نصرة الثائر على المثل السائر) هو التذكير بما في أدبنا من منظومات وقصص طويلة أشار إلى بعضها.

ومن الواضح أنه ظَنّ المسألة في الطول وحده، وإلا فإن الأمثلة التي ضربها على ما في بعضها، من إبداع أدبي جميل، ورائع ليست من سبيل الملحمة، ولا الملحمة من سبيلها.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

وكان ابن الأثير في كتابه المذكور يوازن بين فني النثر والشعر، ويرصد الفروق بينهما إلى أن أتى إلى مسألة التطويل والتقصير، فقال: "إنه مما لا يحسن في الذوق العربي أن يطول الشاعر قصائده، ويُشقق المعاني ويستوفي الكلام فيها، مما هو أليق بالنثر".

ثم انطلق في موازنة بين العرب والفرس في تلك النقطة قائلًا: "إن الشاعر إذا أراد أن يشرح أمورًا متعددة ذوات معانٍ مختلفة في شعره، واحتاج إلى الإطالة بأن ينظم مائتي بيت، أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك؛ فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه، بل يُجِيد في جزء قليل، والكثير من ذلك رديء غير مرضي، والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل الكتاب الواحد إطالة واسعة، تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر، وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة، وهو مجيد في ذلك كله.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

وهذا لا نزاع فيه؛ لأننا رأيناه، وسمعناه، وقلناه. وعلى هذا؛ فاني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار إليها؛ فإنّ شاعرهم يذكر كتابًا مصنفًا من أوله إلى آخره شعرًا، وهو شرح قصص وأحوال، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم، كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بـ (شهنامة) وهو ستون ألف بيت من الشعر، يشتمل على تاريخ الفرس، وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه. وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها، وتشعب فنونها وأغراضها، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر".

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

إذًا؛ ففي أدبنا الفصيح القديم لا وجود لهذا الفن الشعري، ولكنا لدينا مع هذا ما يسمى بالسير الشعبية كـ"سيرة عنترة" و"سيرة سيف ابن ذي يزن" و"السيرة الهلالية" و"سيرة ذات الهمة" و"سيرة حمزة البهلوان" و"سيرة فيروز شاه" و"سيرة علي الزيبق" و"سيرة أحمد الدنف" وهي تقترب جدًّا من فن المَلحمة؛ فهي قصص، وهي شديدة الطول حتى لا تتجاوز سيرة عنترة مثلًا ثلاثة آلاف صفحة وخمسين.

إلا أن هذه السير ليست مصوغة كلها شعرًا بل هي عمل نثري في المقام الأول، تكلله الأشعار على ألسنة بعض أبطالها، مع تفاوت في مقدار هذا الشعر بين سيرة وأخرى، ومع هذا؛ لا يَصِحُّ أنْ نُغفل أنها مصبوبة في قالب السجع الذي يقترب خطوة من الشعر، أي أن أسلوب السيرة النثري ليس خاليًا من النغم هو أيضًا، كذلك لا يوجد لها مؤلف معين؛ إذ هي من إبداع المخيلة الشعبية.

الفصل الثامن: الأجناس الأدبية القديمة والحديثة والتفاعل فيما بينها

أما في العصر الحديث: فقد ظهرت بعض الأعمال الشعرية العربية التي أطلق عليها ملاحم، رغم أنها لا تتطابق والملاحم القديمة التي نعرفها، إلا أنّ فيها مع ذلك بعض السّمات التي تصلها على نحو ما بها، فهي أعمال قصصية طويلة يقع بعضها في عدة آلاف من الأبيات كملحمة "الغدير" لـ"بولس سمير اللبناني النصراني" الذي لم تمنعه نصرانيته من الإعجاب ببطولة الرسول الكريم -صلوات الله عليه- والعكوف على سيرته، وشخصيته يدرسهما ويستوحيهما؛ حتى أخرج لنا في نهاية الأمر عملًا ملحميًّا يصور بطولاته وإنجازاته الخارقة.

ولا مانع أن تُعدّ تلك الأعمال الحديثة بوجه عام من الملاحم، ولا ريب أن من الصعب استمرار ملامح جنس أدبي ما دون تغيير أو تعديل أو تطور، طوال كل هاتيك القرون الشائعة.

الفصل التاسع: طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي

طرق الاستفادة من الأدب المقارن
في الأدب القومي

- تقويم علاقة التأثر بين الأدب العربي وغيره من الآداب:

وللأدب المقارن أهداف متوخاة تتلخص في أن يتم التلاقح بين الآداب القومية المختلفة بعضها وبعض، وبغير هذا التلاقح قد يأسن الإبداع الأدبي، ويظل يدور في حلقة مفرغة، وقد ينتهي به الأمر إلى أن يأكل نفسه كالرحى حين لا يكون هناك ما تطحنه؛ فلا يكون إمامها إلا أن يحتك شقاها ويتحاتّا ويَظلّا يحتكان ويتحاتان، ثم ينتهي بهم المطاف إلى أن تتفتت الرحى وتنتهي.

أما الاحتكاك بالآداب الأخرى؛ فمن شأنه أن يضخ دماء جديدة في الآداب القومية، تدب فيها الحيوية من خلالها؛ فتتوثب وتضج فيها الحياة القوية العارمة.

الفصل التاسع: طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي

والواقع أن ميدان الأدب المقارن يشمل كل ما يتعلق بالأدب العام والقومي، ولكن من حيث علاقته بغيره من الآداب؛ والإفادة التي يمكنه أن يفيدها من هذه العلاقة، فمثلًا هناك الأجناس الأدبية، التي لم نكن نعرف منها في أدبنا القومي قبل العصر الحديث جنس المسرحية، ولا جنس الملحمة، ولكن بعد اتصالنا بالغرب أصبح عندنا مسرح شعري ونثري، ولمعت أسماء: "شوقي" و"عزيز أباظة" و"عبد الرحمن الشرقاوي" و"صلاح عبد الصبور" و"فاروق جويدة" و"توفيق الحكيم" و"علي أحمد با كثير" و"سعد الله ونوس" و"ممدوح عدوان".

وفي الاتجاه المضاد كان عندنا في الشعر العربي الوزن والقافية المنضبطان تمام الانضباط، واللذان اقتبسهما الشعر الفارسي بعد الإسلام؛ وأصبحا جزءًا لا يتجزأ من الإبداع الشعري الفارسي كما هو معروف، كذلك كان عندنا جنس المقامة، وهو جنس كان ينقص الآداب الأخرى كالأدب الفارسي الذي حاول أحد كتابه وهو القاضي حميد الدين أن يستزرعه في الأدب الفارسي، فكتب عدد من المقامات الجيدة إلا أنه رغم هذا لم يستطع أن يلهم غيره متابعة الطريق؛ فتوقف الأمر عنده مثلما بدأ به.

الفصل التاسع: طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي

- وإن يمكن أن يفيده الأدب القومي من الأدب المقارن أيضًا استلهامًا للمواقف والنماذج البشرية، التي قد تكون غائبة عنه أو تكون فيه؛ لكنها في الآداب الأخرى تمثل ألوانًا مختلفة عما يعرفه، ومن تلك النماذج أنموذج البخيل أو أنموذج البغي التي كانت في انحرافها ضحية للمجتمع وأوضاعه الظالمة.
- ومن ميادين الأدب المقارن التي يمكن استفادة الأدب القومي منها: المذاهب الأدبية؛ كالكلاسيكية، والرومانسية، والواقعية والبرناسية، والرمزية. التي هي قد يكون لها أو لبعضها بذور في آدابنا، لكنها لم تتبلور في ذلك الأدب، وقد دخلت تلك المذاهب أدبنا العربي في عصرنا الحديث بعد اتصالنا بالغرب، ووجداننا فيه تلك المذاهب التي لم يكن لنا بها عهد على النحو الذي وجدناه عليه في الآداب الأوربية، وأكسبت أدبنا طعومًا ومذاقات جديدة في مجالات الشعر والقصة والمسرحية.

الفصل التاسع: طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي

ويُمكن أن يكون الأدب المقارن معولًا على توسيع الأفق؛ إذ يرينا كيف أن الأذواق والأوضاع والقيم الأدبية، تختلف من أدب لآخر ومن أمة إلى أخرى، رغم أن هناك أشياء مشتركة كثيرة أيضًا، وهذا الاختلاف دليل على ثراء الحياة، وعلى غنى القدرة الإلهية المبدعة التي لا تنفد ولا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء.

تقييم:

اختر الإجابة الصحيحة:.

١) من ميادين الأدب المقارن

أ) مقارنة الأدب الشعبي فقط ب) مقارنة الأجناس الأدبية المختلفة ج) مقارنة الفلسفة اليونانية فقط

٢) المدرسة التي اعتُبرت رائدة في ميدان الأدب المقارن هي:

أ) المدرسة الأمريكية ب) المدرسة الإيطالية ج) المدرسة الفرنسية

٣) من شروط الباحث في الأدب المقارن أن يكون:

أ) ملمًا بلغته القومية فقط ب) عارفًا بلغات أجنبية ج) مختصًا فقط في النقد الفني

٤) العلاقة بين الأدب والموسيقى تظهر في:

أ) استخدام العروض والقافية والسجع ب) الوصف الدقيق للأحداث ج) تعدد الشخصيات في النصوص

تقييم:

اختر الإجابة الصحيحة:.

١) من ميادين الأدب المقارن

أ) مقارنة الأدب الشعبي فقط ب) مقارنة الأجناس الأدبية المختلفة ج) مقارنة الفلسفة اليونانية فقط

٢) المدرسة التي اعتُبرت رائدة في ميدان الأدب المقارن هي:

أ) المدرسة الأمريكية ب) المدرسة الإيطالية ج) المدرسة الفرنسية

٣) من شروط الباحث في الأدب المقارن أن يكون:

أ) ملمًا بلغته القومية فقط ب) عارفًا بلغات أجنبية ج) مختصًا فقط في النقد الفني

٤) العلاقة بين الأدب والموسيقى تظهر في:

أ) استخدام العروض والقافية والسجع ب) الوصف الدقيق للأحداث ج) تعدد الشخصيات في النصوص

الخاتمة:

لقد استعرضنا في هذه المحاضرات ملامح الأدب المقارن نشأةً ومفهوماً، وأبرز مدارسه وميادينه، إلى جانب شروط الباحث في هذا المجال، وصلته بالفنون الجميلة، وبعض أمثلة التأثير والتأثر بين الآداب العالمية، وأخيراً طرق الاستفادة من الأدب المقارن في الأدب القومي. يظهر بجلاء أن الأدب المقارن أداة فعالة لتعميق الفهم الحضاري وتوسيع الآفاق الثقافية، مما يسهم في تلاقي الشعوب وتبادل خبراتها الفكرية والإبداعية. إنه مجال ثري لا يقتصر على تحليل النصوص بل يتعداه إلى استكشاف الروابط الإنسانية العميقة التي توحد البشرية عبر اختلاف اللغات والثقافات. وختاماً، يبقى الأدب المقارن جسراً متيناً يعزز الحوار والتواصل بين الأمم، ويفتح أمام الباحثين آفاقاً جديدة لفهم الذات والآخر.

المراجع:

- الأدب المقارن، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال.

شكرا لكم